الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

على هامش الصراحة

أم الهوش...

إحسان شمران الياسري

في مثل هذا اليوم من عام ١٩٦٣ أُطيح بالجمهورية الأولى، ودخلنا بمأساة مُرَكبة وطويلة لا مثيل لها في تأريخ الشعوب، ولم تكن لنا القدرة على تحملها او وضع نهاية لها..

فقد امتد العذاب والأثر التدميري لانقلاب ٨ شباط الدموي أربعين عاما عجافا وحصد ما حصد من ضحايا، وأغرقنا بالحروب والحصارات وإفرازاتهما.. ووقفنا على حافة الضياع لسيادتنا الوطنية، وشممنا رائحة السلاح الكيمياوي وشاهدنا المقابر الجماعية وقطع الرؤوس.

إن هذه الذكرى تحل علينا ونحن أقرب لليقين بأن خمسين عاما أو يزيد على رحيل الحكم الملكي لم تترك فينا إلا جرحا داميا من حكم العسكر والمغامرين، ولم تتشفع للزعيم الراحل (عبد الكريم قاسم) إلا نزاهته ووطنيته ونواياه الطيبة، لأن ثورته تركتنا في منتصف الطريق، وانتهت به إلى مصير الشهادة المُحزن، بعد أن تسّربت من بين يديه مقومات ديمومتها لأسباب عديدة، كان هو أحد أطرافها، فيما كانت القوى العروبية، وطليعتها قيادة مصر الناصرية، مرتكز الانقلاب، وقاطرة أدواته.

فالجميع يعرف أن مجزرة ٨ شباط تمّ الإعداد لها في المطبخ الإقليمي والدولي، وكان الدور الاستثنائي للمساهمة بهذا العمل قد أوكل لـ (عبد الناصر)، وما كان دور حزب البعث ليتعدى دور الأداة المنفذة..

ولم تعد ذكرى شباط الأسود مجرد ذكرى حدث دموي تعمّدت فيه القوى المنفذة الاستيلاء على السلطة، بل كان بداية الشهية المُركّبة للاستحواذ على كل ما هو عام، ورفع الحاجز بينه وبين الخاص.. واستمرت هذه الشهية حتى بعد أن تسلّم (المحرومون) السلطة عام ٢٠٠٣.. ولا موجب للتفصيل.

ولأن هذه الذكرى مؤلمة، ولأننا مستمرون بالتحصّن في حب الزعيم الراحل، وجمهورية الفقراء، فإننا مستمرون بالدفاع عن كل ما له صله بتلك المرحلة، حتى لو قال بعضنا في سرّه (ليت ١٤ تموز لم تحصل، ولم تأت بعدها الأيام السود).

ولأختم هذه المساهمة، بهذه المناسبة (البائسة)، سأستعير قصة من مقالة نشرها الأستاذ حميد الياسري في صحف المعارضة في وقتها، ولا أدري إن كانت تنفع لهذه الذكرى.

((اعتقل الحاج (شعيوط) من قبل الحرس القومي بعد ٨شباط، وعُذّب دون ذنب يُذكر، سوى حبه لعبد الكريم قاسم. وكان في قريته سيارة (بيكب) عادة ما تستخدم في نقل أهل القرية مع ما يريدون بيعه من مواشيهم من الريف الى قضاء الحي. لدرجة إن الناس أطلقوا عليها اسم (أم الهوش).. وحتى أم الهوش لم تسلم من فاجعة ٨ شباط، فقد صادرها أفراد الحرس القومي عنوة من صاحبها لغرض استخدامها في نقل السجناء..

كان مع الحاج شيعوط بنفس السيارة عدد من سجناء، منهم معلمان اثنان ومضمد القرية وبعض الطلبة، وصادف يومها عيد الفطر.. وعند بلوغ السيارة مركز المدينة، وقفت قبالة السراي، حيث مقر الحرس القومي. وما ان أطلّ الحاج (شعيوط) برأسه من خلف (الچتري) حتى لمح صديقه (عباس الدبعون) وقد انزلق عقاله من رأسه نحو رقبته، وما ان رآه (عباس) حتى بادره مهنئاً بالعيد دون ان يعرف بأمر اعتقاله من قبل الحرس القومي، وان معصمي الحاج شعيوط تلتف حولهما الجامعة (الكلچة)..

عباس الدبعون: خويه حجي شعيوط، اشلونك اشلون كيفك.. وعيدك أمبارك انشالله، وكل عام وانته بخير!!..

الحاج شعيوط : تهي.. بهي.. ولك والله انته بطران ين دبعون!! آنه وين والعيد وين؟؟

ياعيد يا صخام؟؟

ما تشوفني اشلون إمچّتف وذابيني (حرس الغومي) بأم الهوش؟؟

ولك يا ابن دبعون يوتدري بالمصار الصار بيّه..!!

ثمّ اردف الحاج شعيوط بهوسه راحت مثلا يُضرب في قضاء الحي الى يومنا هذا..

(اشلون إتكلّي العيد إمبارك وآنه إمچّتف بام الهوش؟؟))..

ihsanshamran@yahoo.com

من تاريخ الانتفاضات الشعبية عبر التاريخ

انتفاضة ١٢١٥ ووثيقة الماكنا كارتا -كروموِيل- انتفاضة القاهرة ضد نابليون - الوثبة العراقية

إذا راجعنا أسفار التاريخ بدقة فإننا سنجد أن انتفاضة (القاهرة)منذ ٢٥ كانون الثاني الماضي ليست أول انتفاضة يتعايش معها اعتصام شعبي في القاهرة ذاتها ، ولا في مدن أخرى في العالم عبر التاريخ .

باسم عبد الحميد حمودي

من انتفاضات بغداد القديمة

قامت الانتفاضات في المدن التاريخية القديمة -مثل بغداد وغيرها - لأسباب متعددة أهمها كثرة الجور الذي يقع عليها من متسلميها أو رجال السطوة فيها ،ومن هؤلاء :

القائد البرجمي

في عام ١٠٣٦ للميلاد-٤٢٣هـ - احدث واحد من الشقاة (العيارين) يدعى أبو علي البرجمي جوا من الرعب ببغداد حتى وضع عوام الناس الارصاد في الشوارع لحمايتها من الاغراب وهجمات جماعة البرجمي الذي لقبه الشقاة بالقائد ، وقد كان يتسلل الى مخازن التجار و مخازن الحارات ، فقد تسلل بقواته ليلا الى درب ابي ربيع وأفرغ مخازنه ، على ما يذكر ابن الجوزي في (المنتظم) ، ثم كثرت حملاته على باب الطاق (ساحة عنتر اليوم) ومحال الرصافة فضج الناس وثاروا بوجه الخليفة ودار وافي الشوارع هاتفين حتى استطاع معتمد الدولة سنة١٠٣٨ م القبض عليه بعد ان طارده طويلا وأغرقه في نهر الدجيل ، وبذلك تخلصت بغداد من شروره

الفوران الشعبي زمن سليمان باشا

يذكر الأستاذ احمد الجزراوي في كتابه (بغداد) أن أهالي بغداد تظاهروا بعنف (وكان ذلك (سنة ١٢٠٠هـ -١٧٨٥ م) بسبب تفاقم أزمة المجاعة التي اجتاحت بغداد فحملوا علم الكيلاني في هجومهم على دار الحكومة وهم يتصايحون : عباد الله ماتوا جوعا ، وإزاء هذا الفوران الشعبي تصدت ثلة من خيالة وعسكر سليمان باشا للمتظاهرين ومزقت شملهم بعنف) وقبضت السلطة على بعض رؤوسهم وأعدمتهم أمام المنتفضين الذين تم نفي بعضهم الى البصرة.

بورت سموث

في بغداد نهاية عام ١٩٤٧ وبداية ١٩٤٨ كانت انتفاضة العراقيين ضد معاهدة بورتسموث التي أسفرت عن سقوط هذه المعاهدة (التي عقدتها حكومة صالح جبر مع بريطانيا) وسقطت معها الحكومة بإرادة المتظاهرين الذين قادتهم الأحزاب المعارضة وأتت بوزارة السيد محمد الصدر. هذه الانتفاضة - والتي تبعتها انتفاضة تشرين عام ١٩٥٢ ضد وزارة مصطفى العمري- أسقطت حكومة وغيرت في سياسة ولكنها لم ترتبط باعتصام يوصل الليل بالنهار كالذي يحدث في قاهرة المعز اليوم ، لكننا ونحن نعاين ما يحدث ونقلب صفحات التاريخ بدقة فسنجد الكثير من الوقائع ومن ذلك:

العهد الأعظم ١٢١٥

استطاع شعب لندن الحصول من الملك جون على توقيعه الغالي على العهد الدستوري الأعظم (الماكنا كارتا) في حزيران ١٢١٥ بعد انتفاضة شعبية واسعة أقر فيها الملك للبرلمان بحق الشعب بالحرية وبفصل السلطات.. الخ.

كروموِيل ومشاعل المجلس

كان هناك في برلمانات بريطانيا عرف دستوري غير مدوّن (بالمناسبة فإن معظم بنود الدستور البريطاني غير مدونة وقد أخذت مأخذ العادة والعرف) يقضي بأن جلسة البرلمان تعتبر منعقدة ولا يجوز للسلطة التنفيذية الإخلال بها ما دامت كذلك ، ثار برلمان كمبردج (وهو البرلمان الانكليزي) على الملك شارلز الاول عام ١٦٤٩ لأنه أبى الانصياع للعهد الأعظم ومارس دكتاتورية أضرت بالبلاد ، وبذلك افترقت قوى البلاد واحترت القوى ، وعقد برلمان جلسة خاصة على ضوء المشاعل قرر فيها القبض على الملك ومحاكمته بتهمة الخيانة ، وانتخب القائد اوليقركوموِيل حاكما، واستطاع كروموِيل (الذي اعتبر حارسا للدستور) ان يقبض على شارلز الأول وينفذ به حكم الإعدام.

ملعب التنس والثورة الفرنسية

في عام ١٧٧٤أصبح لويس الرابع عشر ملكا على فرنسا في وقت كانت الأزمة الاقتصادية تطبق على أنفاس الخزانة التي كانت تشكو شبه إفلاس تام ، وكان الملك وحكومته (يدبران) امر البلاد بالمزيد من ضغط النفقات والاستدانة من دول أخرى ، في وقت كانت فيه ماري انطوانيت ملكة فرنسا تسرف كثيرا بشكل اثار التذمر بين الناس .

كان لابد من استدعاء أعضاء مجلس طبقات الأمة للانعقاد لفرض ضرائب جديدة على الشعب، وكان المجلس يتألف من ثلاث طبقات ولكل طبقة صوت واحد وهي طبقة النبلاء ورجال الدين والطبقة العامة... جرت الانتخابات وتم انعقاد المجلس في قصر فرساي في مايس ١٧٨٩ وعارض نواب الطبقة العامة فكرة فرض ضرائب جديدة وطالبوا بالإصلاحات، لكن الملك لم يستمع، إليهم ولا النبلاء (عدا ميرابو) ولا رجال الدين ،واستمر الهيجان الشعبي في باريس ومرسيليا وكاليه وليل وكان وسواها من مدن فرنسا ، وتوالت اجتماعات نواب الطبقة العامة في المقاهي والمنتديات وأماكن الرأي ورفعوا عرائض الاسترحام للملك بأن يباشر بالإصلاح دون جدوى.

هنا قرروا الاجتماع في مقرهم في قصر فرساي فمنعهم حرس الملك فعقدوا اجتماعاتهم في ملعب التنس المجاور لقصر فرساي اعتبارا من ٢٠ حزيران ١٧٨٩ وقرروا تسمية أنفسهم (جمعية وطنية) تكتب دستور الأمة .

استمرت الإجتماعات في ملعب التنس ليلا ونهاراً لكتابة الدستور وتقرير الفصل بين السلطات وسط تشجيع الجماهير وإسنادها.

قاد ثوريون انتفاضة شعبية لمؤازرة الجمعية الوطنية وتحصن سكان باريس بالمتاريس لحماية أنفسهم ولنجدة رجال الجمعية ، وتحت تأثير الضغط الشعبي أقال

الملك وزارة (نكر) في ١١ تموز ،وهجم ثوار باريس على حصن الباستيل في ١٤ تموز وحرروا السجناء ،واعتبر هذا اليوم يوم الثورة الفرنسية الوليدة التي تولى الثوار فيها محاكمة الملك وزوجته وإعدامهما إضافة لآلاف آخرين أكلتهم قوى الثورة واحدا بعد الأخر مثلما ما قتلت روبسبيير وسان جوست وقبلهما مارا ، وهم من زعماء الثورة وقوادها.

نابليون وثورة مصر

بعد معركة أمبابة في عام ١٧٩٨ حيث دخل نابليون ارض القاهرة التي سرعان ما ثارت عليه واجتمع حول الجامع الأزهر أكثر من (١٥) ألف نسمة وأقاموا الحواجز والمتاريس ،ومثل أحداث الإنتفاضة الحديثة اندفع خمسة آلاف فلاّح من القرى المجاورة ومن بدو الصحراء لحماية القاهرة إسناداً للثوار .. وفر نابليون الى جزيرة من جزر نهر النيل .. إلى حين ، حيث رتب قواته وحشدها من جديد ثم

وجه مدافعه نحو الثوار وقصف شوارع القاهرة والجامع الأزهر وهرب الثوار أو من بقي منهم إلى المدن الأخرى ، لكن القاهرة لم تصمت نهائيا ، إذ رحل نابليون فجأة عنها الى باريس ليدخل وسط الصراع السياسي هناك لحكومة الإدارة.

في آذار ١٨٠٠ ثارت القاهرة ضد كليبر (وكيل نابليون) فقمع الثورة بشدة وقام سليمان الحلبي باغتيال كليبر فتولى عبد الله مينو القيادة.

ثارت القاهرة مرة أخرى على القائد عبد الله مينو نائب نابليون (سمى نفسه عبد الله عندما كان حاكما لبلدة رشيد وتزوج حسناء منها) ففاوض مينو الانكليز ليخرج وجيشه من مصرفي التاسع من أيلول ١٨٠١.

ثورات أخرى

دخل القاهرة أربعون ألفاً من الأتراك ومثلهم من المماليك وعشرون ألفاً من الانكليز وساد جو من عدم الراحة في مصر، وفي ١٢ آذار ١٨٠٤ حاصر القاهريون قصر عثمان البرديسي كبير المماليك ففر منه الى الصعيد لكن الثورة استمرت مطالبة برحيل الانكليز ايضا وتم قمعها بشدة ، لكن الثوار كانوا يتحينون الفرص للثورة مرة أخرى.

كومونة باريس

أكثر الانتفاضات قمعاً كانت انتفاضة كومونة باريس ١٨٧١، وكانت فرنسا قد خرجت من هزيمة عام ١٩٧٠ مع بسمارك (رئيس وزراء ألمانيا) متعبة ونتيجة لمغامرة غير محسوبة قادها الإمبراطور نابليون الثالث ضد ألمانيا اندحر جيشه فيها وأسر هو ودخلت الجيوش الألمانية باريس وتوج الإمبراطور وليم الأول على عرش ألمانيا الموحدة في قصر فرساي، ثم انسحب من باريس تاركا امر إجراء الانتخابات إلى الفرنسيين أنفسهم.

في ٨ شباط ١٨٧١ جرت انتخابات الجمعية الوطنية وفاز الملكيون بالأغلبية واخذ الجمهوريون ثلث المقاعد لكن باريس ثارت لهذه النتيجة ، وكان قادة الثورة قد اتخذوا من مقر مجلس بلدية باريس مقرا للقيادة وكان ذلك في١٨ آذار١٨٧١حيث سميت الثورة : ثورة كومونة باريس .

طالب مجلس الكومونة (وهو يعلن حكومته الثورية في ١٨آذار ١٨٧١) بالديمقراطية للشعب وإسقاط وزارة العجوز تيير وبتحويل المدن الفرنسية الكبرى الى ولايات شعبية تحكم نفسها بنفسها . انتظر تيير العجوز الدموي حتى أوائل مايس ١٨٧١ حيث بدأ بضرب الثوار الذين اعتصموا في حي مونمارتر الشعبي فتم قصفهم بشدة وزحفت قوة من الجيش النظامي قوامها ١٣٠ الف جندي وسحقت هذه القوة الهائلة الثورة التي قاوم رجالها بكل بسالة .. دون جدوى ، وظلت ذكرى كومونة باريس خالدة الى يومنا هذا.

انتفاضة بغداد ١٨٣١

كان ذلك في الأيام الأخيرة لحكم داود باشا والي بغداد الذي حاصره مبعوث السلطان علي رضا اللاز وجيشه إضافة إلى قيام مرض الطاعون بحصد آلاف الأنفس يسانهما فيضان دجلة الذي دخل ازقّة المدينة ، وبدا الناس يقاومون وينظمون لجانا شعبية لحماية دورهم من الفيضان ودرء صراع داود -علي رضا عنهم ، وكانت انتفاضتهم حماية لأنفسهم من حرب المماليك مع العثمانيين.

انتفاضة سلاح الفرسان المصري

في الخامس والعشرين من شباط ١٩٥٣ استقال محمد نجيب من رئاسة الجمهورية المصرية لأنه عجز عن مقاومة قدرات عبد الناصر في مجلس قيادة الثورة ، هنا أمر عبد الناصر باعتقال نجيب فاجتمع ضباط سلاح الفرسان (الخيالة) بقيادة الضابط الشاب الصاغ خالد محيي الدين الذي طوقت قواته مقر القيادة العامة الذي يجتمع فيه مجلس قيادة الثورة وأجبرت القيادة على إعادة نجيب إلى الرئاسة ، لكن ذلك لم يستمر طويلا فقد خلع عبد الناصر محمد نجيب مرة أخرى ووضعه تحت الإقامة الجبرية.

انتفاضات أخرى

لا تصبر الشعوب غلى ضيم الحكام بسهولة وهي تقوم بانتفاضاتها متى أتيحت لها الفرصة سواء حققت الانتفاضة أغراضها أم لا ، لكن كل انتفاضة تشكل محطة من تاريخ الشعوب الحافلة بالقدرة على تجاوز ذاتها الى أفضل عبر الحصول على حريتها من حكامها ، وقد جرت انتفاضات كثيرة لدى الشعوب العربية وغيرها لا سبيل إلى عرض وقائعها في هذا التقرير الذي يهمه الانحياز الى مصر المحروسة.

الثامن من شباط والنفق المظلم

حسين علي الحمداني

هنالك حقائق كثيرة ظلت خافية على أجيال عراقية عديدة ، لم ينفض الغبار عن هذه الحقائق إلا بعد التاسع من نيسان ٢٠٠٣ حيث انكشف الوجه الحقيقي لنظام البعث المقبور ، هذا الحزب الذي تسلق سلم السلطة عبر جرائم عديدة وارتباطات مشبوهة مع دوائر متعددة كان هدفها الأساسي تحطيم عملية بناء الدولة العراقية الناهضة ، هذه الدولة التي بدأت بواكيرها في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ عبر ثورة الجيش والشعب والتي أسست الجمهورية الأولى في هذا البلد العريق .

وكلما مرت ذكرى الثامن شباط عام ١٩٦٣ ، نستذكر استشهاد ليس الزعيم عبد الكريم قاسم فقط بل الجمهورية العراقية الأولى التي رأت النور فجر ١٤ تموز ١٩٥٨ ، هذه الثورة قضت على الوجود البريطاني من خلال النظام الملكي والكثير من الاتفاقيات المعقودة مع التاج البريطاني والتي كان يراد من خلالها ربط العراق بمنظومة التحالفات العسكرية الكبيرة التي أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية .

وعملية اغتيال ثورة ١٤ تموز قبل أن تكمل عامها الخامس ، يمثل فيما يمثله وضع حد لطموحات وطنية كانت تنظر للمستقبل بأفق كبير ، وتدعم الشعب وتحقق نجاحات كبيرة في ميادين مهمة ذات مردود إيجابي كبير ليس للمواطن العراقي فقط بل لاقتصاد البلد الذي بدأ يخرج من دوامة (الإسترليني) ويتحرر من تبعيات ذلك ويحاول تأسيس اقتصاد وطني قائم على ركائز قوية تدعمه الزراعة وقانون الإصلاح الزراعي الذي يعد من القوانين المهمة جدا التي اتخذتها ثورة ١٤ تموز وشرعت بها بوقت مبكر مما منحها قوة شعبية لا يستهان بها ، وهذا القانون يمثل قراءة واقعية وصائبة وساهم بالقضاء كليا على رموز الإقطاع في العراق ، وبالتزامن مع هذا صدر قانون رقم (٨٠) سنة (١٩٦١) والذي يمثل بمثابة قانون لتأميم النفط العراقي حيث أنه حدد مناطق استثمار النفط وانتزاع ما نسبة ٩٥٪ من الاحتكارات النفطية آنذاك من الشركات الأجنبية ، وكان هذا القانون ممهورا بإمضاء الزعيم عبد الكريم قاسم والوزراء وقد نقل عن الزعيم قوله أننا اليوم نوقع على قرار إعدامنا ! لإدراكه المسبق بأن ما ينفع الشعب العراقي لن يرضي أعداء الشعب الذين سيحيكون المؤامرات تلو الأخرى للخلاص من هذا النظام الذي وضع رفاهية الشعب وتقدمه نصب عينيه .

وبالتأكيد فإن إنجازات ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وبزمن قياسي كانت محل اهتمام الشعب العراقي وفي نفس الوقت كانت محل ترقب من قبل قوى خارجية تضررت كثيرا بهذه الثورة حيث فقدت مصالحها في هذا البلد الحيوي والمهم من جهة ومن جهة ثانية بأن زعامة عبد الكريم قاسم للثورة وقيادته الدولة ومعالجاته للكثير من القضايا التي كانت عالقة في البلد بطريقة سياسية ساهمت كثيرا في استقرار البلد خاصة ما يتعلق منها بدوره الكبير جدا في تفهم قضية الشعب الكردي بل وتبنى هذه القضية وعالجها برؤية لم تكن بعيدة عن أرض الواقع بل لا مسته لدرجة أصبح فيها الشعب العراقي يلتف حول هذه الزعامة ، كل هذه أغاظ بالتأكيد القوى الأخرى التي راحت تبحث في سبل شتى للقضاء على هذا النظام في محاولة لعودة مصالحهم من جديد.

لهذا كان الثامن من شباط ، يوماً أسود في تاريخ العراق ، لأنه في هذا اليوم بدأت حمامات الدم تملأ لشوارع والسجون فتحت أبوابها لتمتلئ بالكثيرين من الذين رفضوا هذه المؤامرة وقاوموها بقوة ، وعمليات الانتقام طالت الجميع ، خاصة وإن بيانات ما عرف (بثورة ٨ شباط) كانت بيانات انتقامية تحريضية صريحة جدا ، ومثلت قمة الوحشية التي يمكن أن يصل إليها المرء في لحظة من لحظاته ، لهذا لم تكن أحداث الثامن من شباط (ثورة) كما ادعى منفذوها وطبلوا لها في عقود حكمهم المريرة بل بعضهم وصفها بـ (عروس الثورات) وهو لا يعي جيدا وحشية هذا اليوم وحجم ما اقترف به من جرائم بحق القوى الوطنية المخلصة لهذا الشعب الذي تلقى الخبر في هذا اليوم الرمضاني كالصاعقة ولم يصدق ما جرى ، والكثير من أبناء الشعب العراقي راحوا يدافعون بما متيسر بأيدهم عن ثورة ١٤ تموز وقادتها ولكن بطش القوى المرتبطة بمخابرات بريطانيا وأمريكا آنذاك حالت دون ذلك حيث شهدت الكثير من مدن العراق ما يشبه العصيان أو ما يمكن تسميته بردود الفعل الثورية والتي وأدت في مهدها من قبل جلاوزة البعث الذي تربع على جماجم شهداء العراق فترة أربعة عقود انتهت نهاية مخزية مدوية استقر فيها رمزه العفة في حفر متهالكة ، فيما ما زال أبناء الشعب العراقي ينظرون بفخر لمنجزات عهد الزعيم عبد الكريم قاسم ، هذه المنجزات التي ما زالت شاخصة تملأ الأفق العراقي ، هذه البنى التحتية كالمدارس والجسور والمستشفيات التي ما زلنا نسميها (الجمهوري) والكثير من المعامل كل هذه أنجزت في فترة قياسية جدا هي الفترة الممتدة من عام ١٩٥٨-١٩٦٣ ، بينما نجد هؤلاء الوحوش الذين استولوا على السلطة في العراق لم يحققوا خلال ٤٠ سنة من حكمهم أي شيء ولم يخلفوا سوى الدمار والتخلف ومئات المقابر الجماعية ومشاكل اقتصادية كبيرة وبنى تحتية ضعيفة .

فيما نجد بالمقابل بأن أبناء تموز ١٩٥٨ لم يكن أمامهم سوى أن ينهضوا بالعراق شعبا وحضارة ، ويؤسسوا مقومات الدولة الحديثة والاقتصاد المتين والمواطن الشريف ، في شباط ١٩٦٣ كانت معاول التهديم تبدأ رحلة طويلة تمكنت فيها من أن تحيل هذا البلد لدمار وخراب وتتركه يضمد جراحاته لتنزوي معاولهم في ركن بعيد من زوايا التاريخ المظلم ، ليبدأ الشعب العراقي مرحلة بناء جديدة لا نتمنى أن يتم وأدها ثانية .

٨ شباط .. العودة بعجلة التاريخ

علي نافع حمودي

إذا كان هنالك حدث تأريخي بمعنى الكلمة غيّر من مسارات بناء الدولة العراقية فيمكننا اعتبار تاريخ الثامن من شباط عام ١٩٦٣ هو بداية النهاية لحلم راود الكثير من أبناء الشعب العراقي في أن يجدوا دولتهم تقوم على أسس صحيحة في عمليتي البناء المؤسساتي من جهة والاقتصادي المتكامل من جهة ثانية .

والدولة العراقية كما يعرف الجميع مرت بمراحل عدة قبل هذا التاريخ الأسود ، المرحلة الأولى تمثلت بالنظام الملكي وارتباطاته المعروفة وميوله واتجاهاته البعيدة كل البعد عما كان يطمح إليه الشعب العراقي من ثورته العظيمة في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ والتي كانت بحق الثورة التي مهدت لبناء الدولة بمفهومها المعروف ، ولكن الأحداث التي تلت هذا التاريخ من تشكيل وزارات بعيدة عن طموحات الشعب قريبة من الدوائر الاستعمارية ، ساعية لتكبيل العراق باتفاقيات عسكرية واقتصادية تجعل منه تابعا بشكل أو بآخر ببريطانيا سواء بالاستقلال السياسي أو الاقتصادي ، كل هذه العوامل ساهمت كما يعرف الجميع في نضوج وبلورة فكرة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ والتي قامت لغرض بناء الدولة العراقية بعيدا عما يمكن تسميته بالأجندات الاستعمارية التي أرادت أن يكون العراق تابعا كما أشرنا .

وعلى هذا الأساس كان هنالك تفاعل كبير بين الشعب العراقي وثورته الفتية التي تمكنت من أن تعالج الكثير من مواطن الخلل في المجتمع العراقي، فشهد العراق آنذاك جملة من المشاريع النهضوية خاصة في مجالي الصحة والتعليم ، والزراعة التي نهضت كثيرا عبر تشريع الكثير من القوانين التي يمكن أن نعتبرها من القوانين التي فشلت النظم الحاكمة في العراق بعد عام ١٩٦٣ من أن نتصل إلى درجتها من حيث العدالة والتطبيق والرؤية الاقتصادية المنهجية لاستثمار ما متوفر في البلد من خيرات ، وفي مقدمة هذه القوانين قانون الإصلاح الزراعي الذي ربما نظر إليه البعض نظرة اشتراكية فيما وجده البعض ترجمة لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في أنها انتهت الإقطاعية لكن لم ينظر أحد لهذا القانون على أنه قانون ذو أبعاد اقتصادية كبيرة على الناتج الوطني من جهة ومن جهة أكثر أهمية على إن هذا القانون في حينه قد وفر فرصة عمل لأكثر من مليون عراقي وجدوا أنفسهم أصحاب عمل حقيقي لا أجراء يتقاضون ثمن بخس عن أعمال كبيرة.

لهذا فإن إنجازات عبد الكريم قاسم رجل ثورة ١٤ تموز لم تكن ترضي الكثير من الذين تربصوا بهذه الثورة وحاولوا بين الحين والآخر تشويه ملامحها أو التقليل من قيمة ما أنجزته للشعب العراقي أو ما ستنجزه في خططها القادمة ، خاصة ما يتعلق منه بقطاعات مهمة وخطيرة وهو قطاع النفط استثمارا وتصديرا ، حيث ومن خلال مراجعتي المستمرة للكثير من الوثائق التاريخية نجد بأن هنالك الكثير من القرارات ومشاريع القرارات كانت قد تمت مناقشتها بين (الزعيم عبد الكريم) والوزراء والمستشارين وأبرزها الشروع بطرح مشروع تأميم النفط العراقي وجعل عملية الإنتاج والتصدير بيد العراق بعيداً عن الشركات البريطانية والهولندية وغيرها من الجنسيات ، والكثير من الوثائق التاريخية تؤكد أن مشروع هذا القانون كان على مكتب الزعيم عبد الكريم قاسم ليلة الثامن من شباط ١٩٦٣ .

لهذا فإن ما حدث صبيحة الثامن من شباط لم يكن ثورة ولا حتى انقلاباً ، بقدر ما كان محاولة لنسف الدولة العراقية الناهضة وإرجاعها عشرات السنين للوراء ،بغية استكمال حلقة للتفرد بالخيرات وإبقاء الشعب العراقي في حالة من الجمود والضياع وهذا ما حصل بعد شباط ١٩٦٣ حيث دخل العراق في دوامة من الصراعات الدموية ومحاولة بين مراكز القوى داخل من ارتكب جريمة ١٤ رمضان هذه وآلت في نهاية المطاف لتفرد عبد السلام وانقلابه على (الانقلابيين) مما يؤكد بما لا شك فيه بأن الغاية الحقيقية تمثلت بحب السلطة والتشدق بها .

وما يمكننا أن نقوله للتاريخ : إن الكثير من أبناء الشعب العراقي غابت عنهم الحقائق ، حقائق هذه المرحلة من مراحل التاريخ العراقي ، وهي مرحلة استهداف الدولة العراقية ومنجزات الشعب العراقي من خلال ارتكابهم الجريمة الكبرى في شباط ١٩٦٣ هذه الجريمة التي لا يمكن أن نقول عنها سوى إنها أنهت تطلعات الشعب العراقي في بناء دولته وفق أحدث ما توصل إليه العالم آنذاك ، لقد سيطرت الشوفينية بكل جهلها على مقدرات البلد وسخرتها لنزواتها وضربت عرض الحائط واحدا من أهم منجزات الزعيم عبد الكريم قاسم وهو قانون الإصلاح الزراعي لتعيد عجلة التاريخ للوراء ولتؤسس لإقطاعيات جديدة ساهمت في تخلف البلد وزعزعة استقراره .